رِسَالَةُ بُولُسَ الرَّسُولِ إِلَى أَهْلِ رُومِيَةَ

هل الله عادل؟ (رومية ٩: ١٤-٢٩)

تأليف: دفيد روبر

«ليس هذا عدلاً!» هل سمعت هذه الكلمات قط؟ سمعتُ الأطفال المنزعجين ينطقون بها والمراهقون الساخطون، وأيضاً من البالغين الذين يظنون انهم لم يحصلوا على ما يستحقون. وسمعتُ الناس يعبرون بمثل هذا الشعور أيضاً نحو الرب: «أني لستُ رديئاً. أني أحاول مساعدة الآخرين، ومع ذلك يسمح الله بان يحدث لي هذا. هذا ليس عدلا!»

هل الله عادل؟ ذلك هو السؤال الذي يتعامل معه بولس في نص درسنا هذا. طرح في الآية ١٤ السؤال: «أَلَعَلَّ عِنْدَ اللهِ ظُلْمًا؟» خلفية هذا التسائل هي ما إذا كان من العدل أنَ يختار بعض الإسرائليين (الذين يؤمنون بيسوع) ولا يقبل آخرين (الذين لم يؤمنوا بيسوع). لنطرح هذا السؤال بطريقة أخرى: هل كان من العدل أن يرفض الله الإسرائيليين (الذين لم يؤمنوا)ويقبل الأمم (الذين آمنوا)؟ عندما كتب بولس الكلمات الواردة في الآية ١٤، كان بفكره حالة معينة؛ ولكن لهذا السؤال تطبيق أوسع. هل الله عادل في كل تعاملاته؟ هل سيتعامل معنا بالعدل دائماً؟

أصر بولس في رومية ٩: ١٤-٢٩ على أن الله عادل لأن خياراته تتوافق مع ممارسته تتوافق مع شخصه ومع قصده.

تتوافق مع ممارسته (٩: ١٤-١٨)

تحدث بولس في رومية ٩: ١-١٣ عن خيارات قام بها الرب. اختار الرب إسحق ولم يقبل إسماعيل (الآيات ٧-٩)؛ اختار يعقوب ولم يختر عيسو (الآيات ١٠-١٣). سأل بولس قائلاً: «فَمَاذَا نَقُولُ؟ ...» (الآية ١٤). أي «فماذا نقول عن الاختيارات التي قام بها الرب في الماضي؟» طرح بولس عند هذه النقطة من الحوار السؤال الذي يدور حوله هذا الدرس: «أَلَعَلَّ عِنْدَ اللهِ ظُلْمًا؟ ...» (الآية ١٤). حتى مجرد التفكير بانه قد يكون عند الله ظلم كان غضباً على بولس؛ فنفى ذلك نفياً قاطعاً سريعاً إذا قال «حاشا!» (ذيل الآية ١٤).

طبعاً ليس هناك يهودي يظن بانه لم يكن من العدل أن يختار الله إسحق عن إسماعيل أو يعقوب عن عيسو. كان بولس يضع بذلك الخلفية لهذه الخلاصة: إذا كان الله عادلاً عندما قام بتلك الاختيارات، فانه كان عادلاً أيضاً عندما اختار اليهود الذين يؤمنون ولم يختر اليهود الذين لم يؤمنوا. علاوة على ذلك، كان عادلاً في اختيار الأمم الذين يؤمنون بدلاً من اليهود غير المؤمنين.

الرحمة: قبول إلهي (الآيتان ١٥ و١٦)

انتقل بولس من خيار الله لإسحق ويعقوب إلى مناسبتين أخريتين في الكتاب المقدس معروفتين لدى كل قارىء يهودي. لكلاهما علاقة بخروج {بني إسرائيل} من مصر. تختص الأولى بموسى والإسرائيليين في البرية: «لأَنَّهُ {أي الله} يَقُولُ لِمُوسَى: إِنِّي أَرْحَمُ مَنْ أَرْحَمُ، وَأَتَرَاءَفُ عَلَى مَنْ أَتَرَاءَفُ»[١] (الآية ١٥). جاء هذا الاقتباس من سفر الخروج ٣٣: ١٩. كان ذلك جزء من حوار بين موسى والله بعد ما كان الأسرائليون قد صنعوا لأنفسهم عجلاً من الذهب ليعبدوه. معنى كلام الله هذا هو: « سأقرر في أمر من ينال رحمتي ورآفتي».

توصل بولس الى الخلاصة التالية من تلك العبارة: «فَإِذًا لَيْسَ لِمَنْ يَشَاءُ وَلاَ لِمَنْ يَسْعَى[٢]، بَلْ لِلهِ الَّذِي يَرْحَمُ» (رومية ٩: ١٦). قدم بولس مثالاً توضيحياً لمن يعمل كل ما بوسعه لكي يفوز بالسباق. قد نعيد صياغة الآية ١٦ كما يلي: «إذاً لا يتوقف الأمر على من له رغبة شديدة في الرحمة ("يشاء") ولا من يبذل جهداً عظيماً

---

[١] تُسْتَخْدَم كلمتي «أَرْحَمُ» («إيليو ἐλεέω») و«أَتَرَاءَفُ» (من «أويكتريو οἰκτείρω») الواردتين في هذا النص بالتبادل.

[٢] الكلمة اليونانية المترجمة هنا إلى «يسعى» قد تترجم أيضاً إلى «يركض» أو «يعدو».

من أجل الحصول عليها ("يسعى"). بل يتوقف الأمر على الله الذي يرحم».

قد يؤدي كلام بولس هذا إلى إستجابة كما يلي: «طبعاً يجب أن نرغب في الرحمة، وطبعاً يجب أن نعمل ما بوسعنا من الحصول على الرحمة». هذا صحيح، ولكن كان بولس يثبت بهذا أن الرغبة والجهد لا يضمنان الحصول على الرحمة. الأمنية والعمل لا يجعلان الله مديون لنا. انه من حق الله أن يقرر من الذي سيرحمه.

مثال جيد على ذلك هم الأسرائليون في البرية. في سياق الإقتباس من سفر الخروج، كان موسى يتوسل إلى الله نيابة عن الإسرائيليين لكي يغفر لهم (خروج ٣٢: ٣١ و٣٢) ويطلب منه أن يبقى معهم (٣٣: ١٥). هل كان الإسرائيليون يستحقون تلك الرحمة؟ كلا، ولكن الله اختار أن يرحمهم في تلك المناسبة. هل كان قُرَّاء بولس من اليهود يؤمنون أن الله كان عادلاً إذ منح أجدادهم رحمته؟ نعم طبعاً!

تقسية: عدم قبول الله (الآيتان ١٧ و١٨)

في الآية ١٧ رجع بولس إلى الزمان الماضي، إلى الأحداث ما قبل خروج بني أسرائيل من مصر: «لأَنَّهُ يَقُولُ الْكِتَابُ لِفِرْعَوْنَ[٣]: إِنِّي لِهذَا بِعَيْنِهِ أَقَمْتُكَ، لِكَيْ أُظْهِرَ فِيكَ قُوَّتِي، وَلِكَيْ يُنَادَى بِاسْمِي فِي كُلِّ الأَرْضِ»[٤]. جاء هذا السؤال من الأصحاح التاسع من سفر الخروج. أرسل الله موسى إلى فرعون في الفترة بين الضربتين السادسة (دمامل بثور، أي قروح وبثور) والسابعة (البرد) برسالة تقول انه كان بإمكانه أن يهلكه وكل المصريين. قال: «وَلكِنْ لأَجْلِ هذَا أَقَمْتُكَ، لِكَيْ أُرِيَكَ قُوَّتِي، وَلِكَيْ يُخْبَرَ بِاسْمِي فِي كُلِّ الأَرْضِ» (خروج ٩: ١٦). يوضح هذا التوكيد على أن الله هو الذي يحكم في مصير الشعوب.

ينبغي أن ندرك أن قصد الله كان يتم بغض النظر عن كيفية إستجابة فرعون إلى التوجيه الإلهي القائل: «أَطْلِقْ شَعْبِي لِيُعَيِّدُوا لِي فِي الْبَرِّيَّةِ» (خروج ٥: ١). لو كان فرعون قد أطاع الله، لانتشر الخبر بان ملك مصر العظيم قد خضع لمتطلبات إله الإسرائيليين. ونتيجة لذلك لظهرت قوة الله وتم المناداة باسمه في كل الأرض. طبعاً لم يقبل فرعون ذلك مما أدى إلى مجيء الضربات العشر التي تبعها الخروج {من مصر} وعبور البحر الأحمر وهلاك الجيش المصري. انتشر خبر هذه الأعمال العظيمة طولاً وعرضاً في جميع أرجاء البلاد (راجع سفر يشوع ٢: ١٠ و١١؛ ٩: ٩؛ ١ صموئيل ٤: ٨).

لم يعطي بولس التفاصيل عن الكيفية التي تعامل بها الله مع فرعون لأن تلك كانت قصة يعرفها كل تلميذ يهودي. كان الشيء الرئيسي الذي أراد بولس أن يركز قُرَّاءه عليه هو تقسية قلب فرعون. قال بولس في الآية ١٨ أن الله «يَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ، وَيُقَسِّي مَنْ يَشَاءُ» القلب القاسي هو القلب غير مؤمن وعنيد وصلب. كتب دوغلاس جي موو أن هذه «حالة عدم الاحساس نحو الله وكلمته وعمله»[٥].

لقد قضى الناس ساعات يناقشون فيها كيف (بأي مفهوم) قسى الله قلب فرعون. عندما نقرأ عن الضربات العشر. يقول السجل أحياناً أن الله قسى (غلظ) قلب فرعون (خروج ٩: ١٢؛ ١٠: ١، ٢٠، ٢٧؛ ١١: ١٠؛ ١٤: ٨)، ويقول أحياناً أخرى أن فرعون هو الذي قسى قلبه (خروج ٧: ١٣، ١٤، ٢٢؛ ٨: ١٥، ١٩، ٣٢، ٩: ٧، ٣٤، ٣٥). يستخلص الكثير من المفسرين أن الله قسى قلب فرعون بطريقة غير مباشرة بواسطة كلام موسى: «أَطْلِقْ شَعْبِي» بينما فرعون هو نفسه قسى قلبه إذ لم يقبل أن يسمع أمر الله. قال ليون موريس انه لم يقل هنا ولا في أي مكان آخر أن الله قسى قلب شخص ما إن لم يكن هو نفسه قد قسى قلبه في المقام الأول»[٦].

هناك مثال توضيحي يُستخدم عادة وهو تأثير أشعة الشمس على السمن والطين. الأشعة التي تصهر

---

[٣] هذا الكلام كان قد قيل أصلاً لفرعون (خروج ٩: ١٣ و١٦)، ومن ثم كُتِبَ (تشير كلمة «الكتاب» هنا إلى ما تم تدوينة {من الأسفار المقدسة} في وقت لاحق من أجل منفعة أجيال المستقبل.

[٤] يمكن الذكر انه بما يختص بالأمثلة المعطاة عن فرعون وبني إسرائيل في البرية لتقسية الله وإظهار رحمته علاقة بتتميم خطته، وليس انه يرسل البعض باستبداد إلى السماء وآخرين إلى جهنم.

[٥] دوغلاس جي موو في تفسيره للرسالة إلى أهل رومية «Romans The NIV Application Commentary»، صفحة ٣١١.

[٦] ليون موريس في تفسيره بعنوان «The Epistle to the Romans»، صفحة ٣٦١.

السمن/الزبدة هي نفسها التي تيبس الطين. هكذا أيضاً عندما يتكلم الله، تلين قلوب البعض وتقسى/تغلظ قلوب الآخرين. قسى كلام الله قلب فرعون لأن «قلبه كان طيناً» (إن صحة لي أن أقول) ذلك.

يجتهد الناس اليوم لفهم كيف قسى الله قلب فرعون، أرجو الفهم ان بولس لم يكن يأتي بمسألة مثيرة للنزاع لمستمعيه اليهود. قابلتُ قليل من الناس الذين يقولون أن الله قسى قلب فرعون، ومن ثم تحنن له، ولكن لم يكن هناك تعاطف في قلب اليهود نحو فرعون. كانوا يعتبرون أن لله الحق أن يفعل ما شاء بذلك الحاكم المستبد.

بعد ذلك لخص بولس كل هذا: «فَإِذًا هُوَ {أي الله} يَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ، وَيُقَسِّي مَنْ يَشَاءُ» (رومية ٩: ١٨). لو كنت قد سألت يهودياً وقلت له: «هل كان الله عادلاً عندما أظهر رحمة لأجدادك؟» لأجاب قائلاً: «نعم طبعاً». ولو كنت قد سألته أيضاً: «هل كان الله عادلاً عندما قسى قلب فرعون؟» لأجاب قائلاً «حتماً!». كان بولس يثبت بذلك أن الله عادل عندما يقبل البعض ولا يقبل آخرين لأن هذا ينسجم مع أعماله على مر السنين. فانه دائماً يقبل البعض ولا يقبل آخرين.

يتوافق مع شخصه (٩: ١٩-٢١)

النقطة الثانية التي أراد بولس توضيحها هي أن الله عادل في اختياراته لأن هذا يتوافق وشخصه. أي أن خياراته تنسجم مع طبيعته، أي مع من هو.

سؤالان مثيران (الآية ١٩)

قدم بولس فكرته بما كان يتوقع من الاعتراض: «فَسَتَقُولُ لِي: لِمَاذَا يَلُومُ بَعْدُ؟ لأَنْ مَنْ يُقَاوِمُ مَشِيئَتَهُ؟» (الآية ١٩). ربما لم يكن الشخص المعارض الذي تم تصوره في هذه الآية يهودياً. منذ منتصف الآية ٧ وحتى الآن لم يقدم بولس في حُجَّته أي شيء قد يعترض عليه اليهودي. إذن عند وصولنا إلى الآية ١٩ ينبغي أن نتصور بولس يقف بجانب رفقائه اليهود في مواجهة ومعارضة الغريب. أشار بولس إليه في الآية ٢٠ بكلمة «الإنسان». تم تقديم شكوى هذا الشخص: «فإذا كان الله يرحم من يشاء، ويُقَسِّي من يشاء {الآية ١٨}، لِمَاذَا يَلُومُ بَعْدُ؟ لأَنْ مَنْ يُقَاوِمُ مَشِيئَتَهُ؟».

توجد أسئله مثل هذه في قلب الحوار عن معرفة الله السابقة. إذا كان الله قد سبق فعرف، وفي بعض الحالات تنبأ بان شخص ما سيعمل شيء معين، فلماذا يحمل الله ذلك الشخص مسؤولية ما فعل؟ من يقاوم مشيئة الله؟ عند قراءتنا للسؤالين الواردين في آية ١٩ نتلهف لمعرفة إستجابة بولس.

إجابة مدهشة (الآيتان ٢٠ و٢١)

لم يجاوب بولس على هذا السؤال كما نتوقع منه أن يفعل. فانه لم يدخل في حوار طويل عن العلاقة بين سلطان الله المطلق وحرية الخيار للإنسان. بل إستجابته الأساسية هي أن الإنسان لا يستجوب الله، لأنه هو الله!

عكساً لذلك، قال بولس: «بَلْ مَنْ أَنْتَ أَيُّهَا الإِنْسَانُ الَّذِي تُجَاوِبُ اللهَ؟ ...» (الآية ٢٠). هناك كلمتين في تباين في هذا السؤال، وهما «إنسان» (اليونانية: «أنثروپوس ἄνθρωπος») و«الله» (اليونانية: «ثيوس θεός»). في جانب واحد هناك الإنسان المحدود والضيف وغير العارف. وعلى الجانب الآخر الله غير المحدود الكلي القدرة والكلي المعرفة.

لكي يوضح بولس سُخْف مجاوبة الإنسان لله، استخدم إستعارة معروفة لدى اليهود: عن الخَزَّاف{صانع الفخَّار} والطين (راجع إشعياء ٢٩: ١٦؛ ٤٥: ٩؛ ٦٤: ٨؛ إرميا ١٨: ٦). «... أَلَعَلَّ الْجِبْلَةَ تَقُولُ لِجَابِلِهَا: لِمَاذَا صَنَعْتَنِي هكَذَا؟ أَمْ لَيْسَ لِلْخَزَّافِ سُلْطَانٌ عَلَى الطِّينِ، أَنْ يَصْنَعَ مِنْ كُتْلَةٍ وَاحِدَةٍ إِنَاءً لِلْكَرَامَةِ وَآخَرَ لِلْهَوَانِ؟» (رومية ٩: ٢٠ و٢١).

كان صانع الفخار وعجلته مشهد شائع في أزمنة الكتاب المقدس. يضع صانع الفخار قطع طين في منتصف عجلته، ثم يدير العجلة، وبمهارة يصنع إناء من ذلك الطين. قد يكون ذلك «إِنَاءً لِلْكَرَامَةِ» مثل «إناء للزينة»، أو قد يكون «لِلْهَوَانِ» (أي للإستعمال الوضيع أو الدنيء) مثل إناء للنُفاية.

الإسرائيليون الذين أكرمهم الله كشعبه (الآيتان ٤ و٥) هم مثال للإناء «للكرامة»، وقد يكون فرعون مثال إناء «لِلهَوَانِ»، كان بولس يقول بذلك، أن للخَزَّاف{صانع الفَخَّار} سيادة على الطين، وجرة النُفاية لا تشتكي أبداً وتقول «لماذا لم تصنعي إناء للزينة؟»[٧].

هذا التشبيه مثله مثل جميع التشبيهات لا ينبغي التمادي فيها. أولاً ليس الناس كتل هامدة من الطين؛ يمكنهم أن يقاوموا الله، وهم يشتكون عادة عن الكيفية التي خلقهم بها الله. («لماذا أنا قصير ... طويل ... صغير البنية ... ضخم إلى هذا الحد؟»). قد تكون جودة «الطين» عامل في نوع الإناء الذي يُصنع منه وكيفية استخدامه (راجع إرميا ١٨: ١-١٠؛ ٢ تيموثاوس ٢: ٢٠ و٢١). لا شك أن ذلك كان الحال مع فرعون. ومع ذلك بقت فكرة بولس صحيحة: الله هو الله وله الحق أن يفعل ما شاء.

قد يصاب البعض بخيبة أمل أن بولس لم يبذل الكثير من الجهد للإجابةعلى السؤال الوارد في الآية ١٩، ولكن أرجو أن تتذكر انه كان يستخدم طريقة تقبلها اليهود. ماذا لو كان غير اليهود قد قالوا انه لم يكن من العدل أن يختار الله إسحق بدل إسماعيل أو يعقوب بدل عيسو، أو بانه لم يكن من العدل أن يصفح عن الإسرائيليين المتمردين بعدما قسى قلب فرعون؟ ليس من الصعب أن نتصور يهودي يجيب على ذلك قائلاً: «ماذا تظن عن نفسك؟ بأي حق تستجوب الله؟». طبعاً كان بولس يتوقع الخلاصة بانه إن لم يكن لغير اليهودي الحق في أن يستجوب الله بخصوص ما يقوم بها من الاختيارات، فلم يكن لليهودي أيضاً الحق في أن يستجوب الرب عندما يختار المؤمنين، ويرفض غير المؤمنين.

بما يختص بالسؤال «هل الله عادل؟» قد نعبر عن النقطة الثانية التي أراد بولس توضيحها كما يلي: «الله عادل لأنه الله - ومهما يعمل يكون دائماً وفقاً لطبيعته وشخصه». أحياناً قد لا نفهم لماذا يعمل الله ما يعمله (نحن مجرد بشر)، ولكننا نثق فيه أن يعمل ما هو قويم. كما قال إبراهيم: «أَدَيَّانُ كُلِّ الأَرْضِ لاَ يَصْنَعُ عَدْلاً؟» (تكوين ١٨: ٢٥).

يتوافق مع قصده (٩: ٢٢-٢٩)

بعد ما أثبت بولس أن لله الحق في اختيار البعض ورفض أخرين، حول إلى السؤال المعين عن اختيار الله للمؤمنين (يهوداً كانوا أم أمماً) عن غير المؤمنين. قدم بولس إثبات عن عدل الله في الآيات ابتداءاً من الآيه ٢٢ وحتى الآية ٢٩. وضع التوكيد بصفة خاصة على أن خيارات الله كانت عادلة لأنها تتوافق مع قصده - قصده الذي أعلنه سابقاً بأنبياء العهد القديم.

تتميم قصد الله (الآيات ٢٢-٢٤)

الآيات من ٢٢ إلى ٢٤ هي جملة واحدة في النص اليوناني. ترتيب الكلمات في اللغة اليونانية يبدو معقد، أو حتى مربك؛ ولكن رسالة بولس الأساسية واضحة. تبدأ هذه الجملة بسؤال بولس الرسول: «فَمَاذَا؟ إِنْ كَانَ اللهُ، وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يُظْهِرَ غَضَبَهُ وَيُبَيِّنَ قُوَّتَهُ، احْتَمَلَ بِأَنَاةٍ كَثِيرَةٍ آنِيَةَ غَضَبٍ مُهَيَّأَةً لِلْهَلاَكِ»[٨] (آية ٢٢).

لكي نفهم هذه الآية، ربما يجب أن نجزئها إلى أجزاء صغيرة. شاء الله أن يعلن غضبه ويظهر قوته (راجع الآية ١٧)، ولكنها تظهر أيضاً حقائق عامة. وفي النهاية ستظهر قوة الله عندما يحل غضبه على الفجار (راجع رومية ١: ١٨).

مع أن الدينونة آتية، إلا أن الله «احْتَمَلَ بِأَنَاةٍ كَثِيرَةٍ آنِيَةَ غَضَبٍ مُهَيَّأَةً لِلْهَلاَكِ». كان بولس يواصل هنا التشبيه الذي قدمه عن الخَزَّاف{صانع الفخَّار} والطين، ولكن بتطبيق مختلف. فرعون هنا هو مثال جيد لإناء «مُهَيَّأَةً لِلْهَلاَكِ» التي احتملها الله «بِأَنَاةٍ كَثِيرَةٍ». كان الرب قد أعطى فرعون فرصة بعد أخرى لكي يغير رأيه ويسمح للإسرائيليين بالخروج من مصر. قد نعطي مثال آخراً أيضاً وهو عن الإسرائيليين في البرية. إن لم يكن الله قد

---

[٧] يمكنك أن تقف للحظة هنا أيضاً لوضع التوكيد على أن المثال التوضيحي الذي قدمه بولس مركز على الوظيفة، وليس على المصير الأبدي.

[٨] يسأل المتخصصون في دراسة الكتاب المقدس: من الذي «هيأ» هذه الآنية «للهلاك»؟: هل هؤلاء الأشخاص هم الذين أعدوا أنفسهم أم الله أم إبليس أم من الذي أعدهم؟ بما أن الآية ٢٣ تتحدث عن آنية أعدها الله للمجد، فربما كان بولس يقصد أيضاً الفاعل في الآية ٢٢. ولكننا نعلم أن هناك عوامل مشتركة. بالمفهوم الحقيقي يعد الأفراد أنفسهم للسماء أو للجهنم بالطريقة التي يعيشون بها حياتهم.

احتملهم «بِأَنَاةٍ كَثِيرَةٍ» لكانوا قد انقرضوا كشعب. قد ينطبق هذا المبدأ أيضاً على الأمم غير الأتقياء في أزمنة العهد القديم – نعم ويمكن تطبيقه علينا نحن أيضاً. ما زال الله يحتمل «بِأَنَاةٍ كَثِيرَةٍ آنِيَةَ غَضَبٍ مُهَيَّأَةً لِلْهَلاَكِ». لماذا؟ لأنه يعطينا فرص لكي نتوب (راجع رومية ٢: ٤). كتب بطرس قائلاً: «... الرَّبُّ ... يَتَأَنَّى عَلَيْنَا، وَهُوَ لاَ يَشَاءُ أَنْ يَهْلِكَ أُنَاسٌ، بَلْ أَنْ يُقْبِلَ الْجَمِيعُ إِلَى التَّوْبَةِ». يفضل الله أن يمنح رحمته من أن يسكب غضبه.

علماً بكل هذا، لنربط السؤال الوارد في الآية ٢٢ بالسؤال الذي بدأنا به. وهذا السؤال في الآية ١٤: «هل الله عادل؟». وفي الآية ٢٢ سأل بولس في الواقع: «ماذا عن أناة {أي صبر} الله على الضالين، معطياً لهم فرص لكي يتوبوا؟» السؤال والإجابة المتضمنان في الآية ٢٢ هما: «ألا يبين هذا مدى عدل الله؟»؛ «طبعاً لا شك في ذلك!».

لننتقل إلى الآية ٢٣ حيث تقول: «وَ{احتمل الضالين بطول أناة ليقبلوا إلى التوبة} لِكَيْ يُبَيِّنَ غِنَى مَجْدِهِ عَلَى آنِيَةِ رَحْمَةٍ قَدْ سَبَقَ فَأَعَدَّهَا لِلْمَجْدِ». قد تذكرنا العبارة القائلة أن الله «يُبَيِّنَ غِنَى مَجْدِهِ عَلَى آنِيَةِ رَحْمَةٍ» بقصة الخروج وصفح الله عن الإسرائيليين عند جبل سيناء (الآيتان ١٥ و١٨). كل ما عمل الله في تلك المناسبة يظهر مدى («غِنَى») رحمته الفائقة («الغنية»).

لقد استعد بولس لينتقل من مثال فرعون والإسرائيليين وليعطي تطبيقاً لما نحن بصدده. بعد ما أشار بولس الرسول إلى «آنِيَةِ رَحْمَةٍ»، أضاف قائلاً: «... قَدْ سَبَقَ فَأَعَدَّهَا لِلْمَجْدِ ...» (الآيتان ٢٣ و٢٤). إن عبارة «سبق فأعدَّ» والكلمة «دعى» هما طريقتان للتعبير عن الذين سبق الله فعَرَفَهم أو سبق فعَيَّنَهم (٨: ٢٩ و٣٠)[٩] – أي بعبارة أخرى، الذين خلصوا بنعمة الله.

بعد ما أشار بولس إلينا بالعبارة: «الَّتِي أَيْضًا دَعَانَا نَحْنُ إِيَّاهَا ...» توغل في قلب المناظرة إذ أضاف قائلاً: «... لَيْسَ مِنَ الْيَهُودِ فَقَطْ بَلْ مِنَ الأُمَمِ أَيْضًا» (الآية ٢٤). كان ذلك بالنسبة لليهود مزعجاً أن الله لم يقبل الكثير من اليهود. بل وكان الأكثر قلقاً هو أنه في الوقت نفسه قبل الرب الكثير من الأمم. بل انه قبل الأمم أكثر مما قبل اليهود[١٠]. علماً بالعهد الذي قطعه الله مع الشعب اليهودي قبل قرون، أهذا عدل؟

التنبوء بقصد الله (الآيات ٢٥-٢٩)

كانت إجابة بولس هي أن هذه الأحداث تنبأ بها الأنبياء. اقتبس بولس أولاً نصين من سفر هوشع ليثبت أن ذلك كان منسجماً مع خطط الله ومقاصده ليشمل الأمم:

> كَمَا يَقُولُ فِي هُوشَعَ أَيْضًا:
> «سَأَدْعُو الَّذِي لَيْسَ شَعْبِي شَعْبِي،
> وَالَّتِي لَيْسَتْ مَحْبُوبَةً مَحْبُوبَةً {هوشع ٢: ٢٣}».
> وَيَكُونُ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فِيهِ:
> لَسْتُمْ شَعْبِي، أَنَّهُ هُنَاكَ يُدْعَوْنَ أَبْنَاءَ اللهِ الْحَيِّ»
> {هوشع ١: ١٠}» (رومية ٩: ٢٥ و٢٦).

اقرأ الآيات من سفر هوشع في هذا السياق، ستجد أن النبي هوشع لم يكن يتحدث عن الأمم، بل عن اليهود المرتدين. استخدم بولس بالوحي هذين النصين {من سفر هوشع النبي} ليثبت مبدأ: يمكن للذين ليسوا شعب الله أن يصيروا شعب الله. إذن كان ذلك يتوافق مع قصد الله بان الأمم الذين لم يكونوا شعب الله (راجع أفسس ٢: ١١ و١٢)، يصيروا شعب الله (أي مسيحيين).

ماذا عن الحقيقة أن الله قبل عدد قليل فقط من اليهود (الذين آمنوا بيسوع) بينما لم يقبل معظم شعب إسرائيل (راجع رومية ٩: ٦)؟ قال بولس أيضاً أن الأنبياء كانوا قد تنبأوا بانه هكذا يكون الحال. واقتبس هذه المرة من سفر إشعياء النبي:

> وَإِشَعْيَاءُ يَصْرُخُ مِنْ جِهَةِ إِسْرَائِيلَ: «وَإِنْ كَانَ عَدَدُ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَرَمْلِ الْبَحْرِ {راجع تكوين ٢٢: ١٧}، فَالْبَقِيَّةُ سَتَخْلُصُ. لأَنَّهُ مُتَمِّمُ أَمْرٍ وَقَاضٍ بِالْبِرِّ. لأَنَّ

[٩] راجع المذكرة عن علم الله السابق في الدرس الذي بعنوان «حسب قصده (رومية ٢٩ و٣٠».

[١٠] في الوقت الذي كتب فيه بولس إلى أهل رومية كان عدد الأمم في الكنيسة أكثر مما كان عليه عدد اليهود. كان هؤلاء الأمم قد قبلوا يسوع بينما لم يقبله معظم اليهود.

الرَّبَّ يَصْنَعُ أَمْرًا مَقْضِيًّا بِهِ عَلَى الأَرْضِ»[11] (رومية ٩: ٢٧ و٢٨؛ راجع إشعياء ١٠: ٢٢ و٢٣).

الكلمة الرئيسية في هذا النص هي «البقية» (اليونانية: «هوپوليما ὑπόλειμμα») وتشير إلى «عدد قليل». إذا قرأت سياق النص الوارد في إشعياء ١٠: ٢٢ و٢٣، ستلاحظ أن إشعياء كان يتحدث عن بقية الإسرائيليون العائدون إلى أرض كنعان من السبي، أقول أيضاً أن بولس كان يعطي تطبيق موحى به. في العهد القديم خلص بقية يهوذا من السبي. إذن لا يجب أن يكون الأمر مدهش انه تم خلاص بقية من إسرائيل في زمان العهد الجديد.

كانت الرسالة عن الـ«بقية» ثنائية. كان هناك أولاً الخبر غير السار بانه ستخلص البقية فقط. ثانياً، كان هناك الخبر السار بانه ستخلص البقية (راجع رومية ١١: ٥). لم يتم رفض إسرائيل كلها. وصل بولس النصف الثاني من الخبر بالإقتباس مرة أخرى من سفر إشعياء النبي: «وَكَمَا سَبَقَ إِشَعْيَاءُ فَقَالَ: لَوْلاَ أَنَّ رَبَّ الْجُنُودِ أَبْقَى لَنَا نَسْلاً {بزرة بالمعنى الحرفي}، لَصِرْنَا مِثْلَ سَدُومَ وَشَابَهْنَا عَمُورَةَ» (٩: ٢٩؛ راجع إشعياء ١: ٩).

يشير النص الوارد في سفر إشعياء إلى زمن المخاطر ليهوذا وأورشليم، عندما غزى الأشوريون البلاد. كان الله قد محى تماماً مدينتي سدوم وعمورة من وجه الأرض (راجع تكوين ١٩: ٢٤ و٢٥) حتى اننا لا نعرف اليوم موقعهما. ولكن لم يحدث هذا لليهود عند هجوم الأشوريون عليهم. بقت هناك بقية (بزرة) التي يمكن أن تنمو. هكذا أيضاً في زمان بولس كان لله البقية في إسرائيل (أمثال بولس الذين قبلوا يسوع المسيا مخلصاً لهم (راجع ١١: ١). سيتمم الله قصده بواسطة هؤلاء الناس.

الخلاصة

كان الله قد عمل مع الإسرائيليين لمدة قرون. فلماذا لم يبقى من الأسرائيليين إلا القليل فقط في خطة الله؟ أجاب بولس على هذا السؤال في القسم التالي من رسالته هذه.

لقد تحدثنا في هذا الدرس عن اختيار الله للبعض ورفضه للآخرين. مع أن المشكلة التي تحدث عنها بولس لا تهمنا اليوم، الا انني أتمنى أن الحقيقة التالية تترك انطباعاً قوياً في ذهنك: الله عادل وبار. عندما يقول أحد أن الله ليس عادل، فانه بذلك يقول الكثير عن نفسه مما يقول عن الله. انه يظهر بذلك جهله وعدم إيمانه.

لا يعلن نص درسنا هذا أن الله عادل فحسب، بل يوضح أيضاً انه رحيماً. قال سي إي بي كرانفيلد أن «الكلمة الرئيسية» في الآيات من ٩ إلى ١١ هي «رحمة»[12]. تظهر الصيغة الفعلية والصيغة الاسمية لهذه الكلمة تسع مرات في هذه الأصحاحات، ومرة واحدة فقط لكل منهما في ما تبقى من هذه الرسالة[13]. أني شاكر أن الله عادل، وأفرح من كل قلبي أيضاً انه رحيم. بما أن الحال هكذا، لديَّ رجاء بانني سأخلص أبدياً!

---

[11] ما ورد في إشعياء ١٠: ٢٣ يعني ببساطة أن الله سيعمل ما وعد به – ولن يتباطأ بخصوص ذلك.

[12] سي إي بي كراندفيلد في تفسيره للرسالة إلى أهل رومية «Romans: A Shorter Commentary»، صفحة ٢١٥. راجع نصوص أخرى عن نعمة الله: رومية ١١: ٣٠-٣٢.

[13] ليون موريس في تفسيره بعنوان «The Epistle to the Romans»، صفحة ٣٤٥.

جميع الحقوق محفوظة ٢٠١٠